من الدوافع إلى ترك وطنه البصرة ، ناجياً بنفسه ودينه ﴿ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ وفي الحديث « يوشك ان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر يفرّ بدينه من الفتن » وذلك اذا تفرقت الاهواء ، وانصرف الناس عن النهج الاسلامي السوي ، وصار ارباب الحق يخشون على انفسهم ، وقد رفعت رايات الفوضى واصطدمت النفسيات الثائرة . افلا ينجو بنفسه وبمن معه يبحث عن موطن يستطيع فيه أن يؤدي عملاً للامة ؟ وقد كان .

لقد اخترق الامام المهاجر بذكائه الثاقب حجب المستقبل ، واستشق الستار بنور بصيرته النافذة ، من بدوات عاشها ، من اضطرابات وقلاقل وثورات القرامطة والحنابلة والعيارين وتطاحن السنة والشيعة وأعمال النهب والغلاء والمجاعة . واذا بدا الهدوء زمناً فلم يكن ذلك الاّ سكينة الحركة ، اشبه ببركان خامد الاحشاء ، ثم تهدر النيران والحمم منه قاصفة الرجفات ، فدفعته الحوادث التي عاشها إلى استكشاف خبايا الغيب ، واستجلاء الغوامض القادمة ، اذ صار القرن الرابع من اسوأ عصور الاسلام سياسياً واجتماعياً ، حدثت فيه انقسامات عقيدية في الامة ، سنة وشيعة وخوارج ومعتزلة وغيرها .